مفكرة

جريمة في الغرفة ٢١٣

سمعنا حديثا عن انشاء ما يسمى بجبهة الحرية والانسان ، تلك الجبهة التي تشكلت من دعاة الجريمة لتستبدل شراع المحبة الذي يوجه سفينة الانسانية ويقودها الى السلام بشراع حيك من الجريمة بأبشع اشكالها وتستبدل بحور الصفاء والسلام في ارض لبنان الحبيب ببحر من دماء الابرياء . والا فمعنى الحرية في شريعة هذه الجبهة اخراس كل صوت يعارض المنطق الطائفي والانعزالي ومعنى الانسانية هو القتل في قلب المستشفيات رمز الانسانية والمحبة .

ان هذه الجريمة ليست مجرد قتل عادي اذ من غير المألوف ان يمر يوم على لبنان دون ان ترتكب فيه القوى الفاشية والانعزالية مجازر بشعة ، فحادثة عين الرمانة ومجزرة داريا والسبت الاسود ما زالت ماثلة امام الجميع . انها جريمة ليست كباقي الجرائم كشفت عنها احدى ممرضات احد المستشفيات (أتجنب ذكر اسمه حفاظا على سمعته) .

تناقلتها الالسنة في الاشرفية والمتن الشمالي بأكثر من رواية ولكنها كانت كلها تجمع على ادانة الاساليب الفاشية والاعمال غير الانسانية التي قام بها الانعزاليون . والتقيت ذات ليلة في جلسة عائلية بالممرضة صاحبة الرواية الحقيقية فسألتها مستجليا الامر الذي كنت أنا نفسي لا أكاد اصدقه ..

فقالت الممرضة بصوت متشنج فيه شيء من الشعور بالذنب وهي تكاد تختنق من البكاء ، قالت « احضر الى مستشفى (...) شاب في مقتبل العمر في احداث حزيران الماضي وقد اصيب بطلقة قناص في يده اليمنى وبعد اجراء العملية لاستخراج الطلقة ادخل الى الغرفة ٢١٣ من الطابق الرابع في المستشفى ، عرفت من لهجته انه فلسطيني فطمأنته واكدت له انه في مكان آمن ، طلبت منه ان لا يتكلم كثيرا حتى لا يعرفه أحد لاني اعرف طبيعة المسلحين المتواجدين في المستشفى وبعد أيام تماثل للشفاء الكامل فأمر الطبيب باخراجه في اليوم التالي ، ولسوء طالع الشاب أحضر الى الغرفة نفسها أحد الجرحى الكتائبيين وكان في حالة خطرة ونظرا للنقص الكبير في الدم من فئة دم الجريح كانت حياته معرضة للخطر ان لم يتوفر الدم . علم الشاب الفلسطيني بالامر فتقدم متأثرا بمنظر ام الجريح وشقيقته الصغيرة التي حضرت الى المستشفى وبدوافع انسانية تبرع بالدم رغم انه لا يحق له التبرع ولكن الاطباء وافقوا على ذلك نظرا لتطابق فئتي دم الاثنين فاجريت العملية للجريح ولم يحتج لدم كثير حصل عليه من الشاب الفلسطيني . انهالت أمه على الشاب بالقبلات وهي تردد عبارات الشكر والولاء لانه انقذ ابنها الوحيد ، تحركت مشاعري لهذا المنظر فقلت للام هل تعرفين من يكون هذا ؟ انه فلسطيني من سكان مخيم تل الزعتر الذين يحمل ابنك السلاح لقتلهم وطردهم ، وقفت الام مشدوهة برهة ولكنها سرعان ما نزعت شارة الكتائب من صدر ابنها وداستها تحت قدميها وهي تقول (أمثل هؤلاء يستحقون القتل ؟) لماذا ؟ ألا يكفي ما فعلته بهم اسرائيل ؟ وتوجهت الى الشاب مكررة عبارات الشكر والدموع تملأ عينيها . طلبت منها ان لا تخبر أحدا بهوية الشاب المسكين ولكنها توجهت الى المسلحين الواقفين في الممر وخاطبتهم بلهجة قوية تنم عن ثقة وكأن هذه الام كانت هي الاخرى تنتظر مثل هذا الدليل الحسي الملموس لتعبر عما يجول في خاطرها من نقمة وحقد على أعمال الكتائب وحلفائهم ولتدافع عن الفلسطينيين وتبين المؤامرة المحاكة ضدهم بكلمات بسيطة ولكنها فاضحة ، تظاهر المسلحون بالاقتناع بكلماتها ورددوا عبارات الندم والتساؤل (لمصلحة من اذن ما يجري في لبنان ؟) .

لم تكن الام المسكينة ولا أنا نعلم ان مدحنا هذا سيؤدي بحياة الشاب ، فعند المساء حضرت فجأة مجموعة من المسلحين ودخلت الى الغرفة بسرعة واخلتها من الزوار ، ولما تساءلت ام الجريح الكتائبي عن السبب أجابها احدهم بانهم جاؤوا يقدمون الشكر للشاب الذي أنقذ حياة زميلهم ، وصدقت الام الطيبة ما قالوه لها ولكنها سمعت داخل الغرفة بعد دقائق شهقة مخيفة وبعد قليل فتح الباب وانصرف المسلحون وهم يحملون الشاب جثة هامدة وقد فصل رأسه عن جسمه . لم نتمالك انفسنا فهبت الام تسب وتشتم دون وعي ولكن تعرض لها أحد المسلحين وضربها على رأسها ضربا مبرحا حتى افقدها الوعي ... كل العاملين في ذلك المستشفى يعرفون هذه القصة .

هذه هي الانسانية حين تغتال داخل المستشفيات رمز الانسانية والمحبة ، وهذه هي اطراف جبهة الحرية والانسان ، فأين الحرية وأين الانسانية من مدعي الحرية والانسانية ؟ ...

محمود ساحوري